لن نكون معًا
صالحي إسلام

لن نكون معًا

صالحي إسلام

اســـــم العـــــــــمل :- لن نكون معاً

اسـم الكـــــــــــاتب :- صالحي إسلام

تـــــدقيق لغـــــوي:- أسماء حافظ

(تصميم غلاف وإخراج فني فريق)

تصميم الغلاف :- رانيا محمد

إخـــراج فنـــي :- وئام مدحت

جميع الحقوق محفوظة للناشر وأي انتهاك سيعرض صاحبه
للمسائلة القانونية
« هذه النسخة مخصصة للقراءة فقط، ولا يجوز إعادة طبعها
أو نسخها أو نشرها إلا بعد الحصول على إذن كتابي من الناشر»

تحت إشراف بوفار

تم إخراج هذا الكتاب بواسطة دار بوقار للنشر الإلكتروني:

أسرة فريق بوقار للتصميم

أسرة فريق بوقار للتنسيق

أسرة بوقار للتدقيق اللغوي

تحت إشراف مجلس إدارة بوقار

أ /أحمد صالح **أ /محمد جاسر**

إ هـــــــد ا ء

إلى كُلِّ زهرةٍ عن بيتها رحلتْ، وإلى كُلِّ شخصٍ فاقدٍ لزهرة قلبه، إلى كُلِّ مفجوعٍ لأحبَّته قد فقد.

~~~~

كـلـمـة شكـر

أشكر الله عزَّ وجلَّ، وأحمده حمدًا كثيرًا حتَّى يبلغ الحمد منتهاه، فقد تَمَّ بحمد الله وشكره نشر عملي الإبداعي، وهو عبارةٌ عن قصَّةٍ قصيرةٍ تحت عنوان: " لَنْ نكون معًا" بدار النَّشر الإلكتروني بوفار.

أشكر طاقم الدَّار كافَّةً على مجهوداتهم المبذولة، لإظهار إبداعي الفنيَّ للعلن.

أشكر أسرتي الصَّغيرة لدعمها المباشر لي، وأشكر كُلَّ من ساندني ودعمني من قريبٍ وبعيدٍ والحمد لله دائمًا وأبدًا.

~~~~

مـقـدمـة

في كُلِّ بيتٍ زهرةٌ إنْ ذبلتْ، صار صدر البيت مُظلمًا.

~~~~

دماءٌ متناثرةٌ على قارعة الطَّريق، هناك على جانب الرَّصيف جسدُ امرأةٍ بلا حراكٍ، رقبتها ملتويةٌ بشدةٍ، من بين ذراعيها ينطلق صراخٌ مدوٍّ بلا انقطاعٍ؛ إنَّه صوت طفلٍ صغيرٍ مُرتجفٍ، بكاءه مُتَقَطِّعٌ من شدَّة الفزع.

لم تكن بذلك الجمال الكافي، حتَّى يُخَوَّلَ لها الفوز بزوجٍ كقريناتها، فجمالها ليس بشيءٍ يُذكر، فحاجباها كبيران ملتصقان من يراها يقول أنَّها ذات عينٍ حاسدةٍ، عيناها كبيرتان واسعتان ترى البحار فيهما قد اجتمعت، فسحر عيونها يجعلك تائهًا لا تعرف من أين تبدأ وصفهما، عيناها ملاذٌ لكلِّ عاشقٍ ولهانٍ، إن أمعنت النَّظر بداخلهما لسرحتَ بخيالك بعيدًا، بعيدًا جدًّا، فَتَجِدَ نفسك قد صرتَ شاعرًا في وصفهما قد تَغَزَّلَ، لكن لا أحد قد انتبه لهما، ولا أحد قد أعار اهتمامًا لتلك الجواهر اللَّامعة البرَّاقة، فَكُلُّ ما يلفت أنظارهم فقط هو اقتران حاجبيها، فالعيون تستبق الأحداث، تنتقي ما يلفت انتباهها لأوَّل مرَّةٍ، فبعد النَّظرة الأولى مباشرةً ينطق اللِّسان بالحكم المُسْبَقِ المباشر، فتنطق الألسنة فور رؤيتها؛ بلقب مقرونة الحواجب، يقولون أنَّ لِكُلِّ فتاةٍ جمالها الخاصُّ بها، فجمال عينيها تجاوز كُلَّ الحدود، فلولا شكل حواجبها لكانَتْ أجمل الفتيات، فلن ينافسها بذلك أحدٌ، لكنْ كما تقول في قرارة نفسها: " الكمال وحده لله عزَّ وجَلَّ، والحمد لله على الخلقة التَّامة".

فعيناها وآهٍ من عينيها؛ إنَّهُ لجمالٌ فوق جمالٍ، فتلك اللَّآلئ المضيئة ورثتها من أمِّها الرَّاحلة، فما أجمل ما ورثته حقًّا!، فمن يدري، هل سيحبُّها أحدهم رغم تلك الحواجب؟ رغم كثافتها؟! رغم شكلهما المُلفت للانتباه؟! هل سيذوب في عشقها أحدهم؟! هل سيحبُّها أحدهم؟! هل سيقترب منها أحدهم يومًا ما؟! هل سيأتي أحدهم ليدخلها في عالم العشق؟! أين ذاك العاشق الولهان؟ هل سيكون له

وجودٌ؟! هل سيغرق في بحار تلك العيون؟! هل سَيتغاضى عن حاجبيها؟ هل سيتقبَّل مقرونة الحواجب؟

تساؤلاتٌ عدَّةٌ تجول ببالها كُلَّ يومٍ، لَمْ تجد جوابًا محدَّدًا، فَجُلُّ ما تجده من جوابٍ ما هو إلَّا افتراضٌ، لكنَّها تتنهَّد قائلةً: الحمد لله دائمًا وأبدًا، فالأرزاق بيد الله.

يُطلقون عليها لقب ذات العين، ظلموها فهي ليستْ تلك اللَّامَّة، فقلبها أبيض كالثَّلج، فَهي لَمْ تُفَكِّرْ يومًا في ما يملكه غيرها، فقلبها قد تَشَبَّعَ بعطاء والدها، فَلَمْ يبخل عنها يومًا بشيءٍ، للنَّاس أَلْسِنَةٌ حارقةٌ قتلتِ الأنفس خنقًا، إنَّها أفاعٍ سامَّةٌ تلتفُّ حول الرِّقاب.

إنَّها تمشي بلباسها الطَّويل المزركش بالورود، وشعرها الأسود الطَّويل منسدلٌ على أكتافها وظهرها، يتحرَّكُ بانسيابيَّةٍ وحُرِّيَةٍ مطلقةٍ، إنَّها سيِّدة المنزل بلا منازعٍ، فهي في منزل والدها تعيش مُعَزَّزَةً مُكَرَّمَةً، فهي أميرة أبيها، تلك الأميرة المدلَّلة التي لا ينقصها شيءٌ البتَّة، ليسوا بأغنياء ولا نبلاء، ليسوا بملوكٍ أو خدمٍ، إنَّهم أناسٌ بسطاء تشبَّعوا بالقناعة والرِّضا، فلا شيء ينقصهم فكلُّ ما يملكونه الآن، لَنعمةٌ يحمدون الله عليها ويشكرونه صباحًا ومساءً، فما يملكونه بحدِّ ذاته ثروةٌ قد غابتْ عند أغلبهم، فرباطهم الأسريُّ قويٌّ للغاية، لا يستطيع أحدٌ قطعه أو كسره، ف"زهرة" جوهرة أبيها، قلبه ونبضه، نفسه وروحه، حياته ووجوده، فمجرَّد وجودها يثلج قلبه فرحًا، فها هي ذي امراةٌ ناضجةٌ متعلِّمةٌ، ذات أخلاق عاليةٍ، لكن لَمْ يحالفها الحظُّ في الحصول على وظيفةٍ، لكن هذا لا يهمُّ، فوالدها هنا موجودٌ يراعيها ويهتمُّ لأمرها، فكيف لشخصٍ أن لا يحرس جوهرته الثَّمينة؟ فزهرة هي نظره وروحه، فبدونها قد يفقد الشَّغف في الحياة، في ذهنه تجول تلك الفكرة الرَّهيبة: "سيأتي يومٌ

وتتركني ابنتي، سيأتي يومٌ ويأخذها رجلٌ منّي، كيف سيعاملها؟ هل سيُدلِّلها؟ هل سيعتني بها؟ هل سَيُفْدِيها بحياته؟ هل سيستنزف قواها؟ هل سيظلمها؟ هل.....هل ..هل ... هل ستزورني؟ هل سأكون مُهْمَلًا ؟ هل سأكون في دهاليز النِّسيان؟"

يتنهَّد فجأةً، فتلك الأفكار قد أهلكتْ خلاياه الفكريَّة، لَمْ يَعُدْ قادرًا على التَّحمُّل أكثر، ها هو يضغط على جبينه بأصابعه حتى احْمَرَّ.

اقتربتْ" زهرة" منه وانحنتْ على ركبتيها؛ لتُطبطب على كتف والدها الأيمن، قائلةً: أبتاه! ما بكَ؟ هل يؤلمكَ رأسكَ؟

رفع رأسه ليلمح وجه ابنته القلق؛ ليجيبها مطمئنًّا: يا ملاكي لا، بتاتًا لا يؤلمني شيءٌ، فقط كنتُ أفكِّر لا غير...

وقفتْ لتلتفَّ حول أبيها الجالس على كرسيِّه المعتاد، لتعانقه من الخلف مبتسمةً؛ لتهمس في أذنه بلطفٍ وحنانٍ: يا أبتاه! كفاكَ تفكيرًا، فأنا سأتزوَّج مثل قريناتي، فلا تقلق لكلِّ قدره ونصيبه، لكلٍّ منَّا وقته، فأنا لم يحن وقتي بعد يا أبتاه، أنا هنا وسأظلُّ هنا، هنا الآن معكَ يا أبي حتى تملَّ منِّي.

ابتعدتْ فَهَمَّتْ بالدَّوران ولباسها يدور كالوردة المتفتِّحة، وشعرها يتناثر في الفضاء محلِّقًا.

ابتسم الأب قائلًا: لا أستطيع الرَّدَّ عليكِ الآن، أيَّتها الطِّفلة الشَّقيَّة. لكن في قرارة نفسه حزنٌ كبيرٌ وحيرةٌ، فلا يعرف أيَّ المشاعر أصدق، يريدها معه ولا يريدها معه، إنَّه خائفٌ على جوهرته، لكنَّه يريد سعادتها فقريناتها قد تزوَّجن، وهي مازالتْ هنا، مازالتْ قابعةً معه، فشبابها سيضيع سُدًا مع رجلٍ عجوزٍ قد غزى الشَّيب رأسه.

أجابته بتلقائيَّةٍ: سأُحضِّر لكَ قهوتكَ المعتادة.

طأطأ الأب رأسه إيجابًا.

يُسْنِدُ رأسه على الكرسيِّ الهزَّاز، يُغمض عينيه ليغيب في دوَّامة ذكرياته الغابرة، فمرَّتْ من أمامه تلك الذِّكرى في لمح البصر، لقد كان فناء البيت هذا مليئًا بضحكاتٍ، يَعِجُّ بالحركة فأطفاله يركضون هنا وهناك، يختبؤون خلف كرسيِّه الهزَّاز ويلتفون حوله صارخين، وضحكاتهم تتعالى، يحاولون الهروب من والدتهم، تحاول إمساكهم فتُبطأ من حركتها عمدًا، فَتُوهِمُهُمْ بأنَّها على وشك الإمساك بأحدهم، يصرخ الأطفال ببراءةٍ قائلين: لا يا أمِّي! لا! لا!

فتنطق شفاهها تبسُّمًا، فتلمحه بنظرات عشقٍ خجولةٍ، ليبادلها هو بغمزاتٍ، فَتَحْمَرَ خدودها مُعْلِنَةً حبًّا أبديًّا، حبًّا نابضًا قويًّا، يفاجئ ابنه البكر" حمزة" فيمسكه، ليدغدغه فتنطلق ضحكاته الصَّاخبة، فتأتي زهرة قلبي غيرةً، ترتمي في أحضاني لتزاحم أخاها، فتنقضَّ والدتها عليها لتمسكها خلسةً، لتهاجمها بدغدغاتٍ متتاليةٍ، فينتشر عطر السَّعادة محلِّقًا في الأرجاء، ترتسم على محيَّاه ابتسامةٌ خفيفةٌ، زادته وسامةً رغم كبر سنِّه.

- قاطعته ابنته قائلةً: أبتاه الشَّاي جاهزٌ.

فتح عينيه التفت ليراها.

- ابتسم لها قائلًا: سلمت يداك يا نبض روحي.

- ابتسمتْ فقالتْ: يا رب يحفظك لي يا أعزَّ أبٍ، أستأذنك يا أبتاه الآن.

طأطأ رأسه إيجابًا، يراقبها وهي تغادر مُتَّجهةً نحو غرفتها كعادتها، ففي هذا الوقت تعانق" زهرة" كتبها؛ لتُحلِّق عاليًا فتسافر بين عوالم الكتب، تحلم مع

أبطالها وتعيش قصصهم، تتأثَّر بالأحداث فتراها تبكي تارةً، وتارةً أخرى تفرح، تغضب و تتعصَّب لموقفٍ، تتناقش تتحاور مع نفسها، تنتقد الشَّخصيَّات تتعاطف مع البعض وتغضب من البعض الآخر، في بعض المرَّات لا تعجبها النِّهايات فتتمنَّى أن تحظى الرِّوايات بنهاياتٍ سعيدةٍ.

على كرسيِّه الهزَّاز يرتشف كوب الشَّاي السَّاخن، ويُدَخِّنُ سيجارته كالمعتاد، فينفث في الهواء دُخَّانًا، يَتَبَدَّدُ في الهواء فتنتشر معها ذكرياته المتتالية، يراها في كُلِّ مكانٍ، في كُلِّ ركنٍ في كُلِّ زاويةٍ، إنَّها تعيش بداخله تسير في عروقه، إنَّها إدمانه الوحيد الغير المنتهي، إدمانه الأبديُّ، تلك الأنثى الرَّقيقة ذات القلب الحنون، أنثاه هو، زوجته" ملك"، لطالما كانتْ جميلةً للغاية في نظره هو، ملك قد ملكتْ قلبه وجسده، عقله وروحه، إنَّها تحتلُّه بالكامل، غائبةٌ حاضرةٌ فغيابها لا وجود له عنده، لقد توفيَّتْ فجأةً بلا إنذارٍ بلا موعدٍ مُحَدَّدٍ، أتاها الأجل ففارقت الحياة، ذهبتْ يومها لتغفو قليلًا، أرادتْ قيلولةً صغيرةً فقط، ففتح لها ذراعيه مبتسمًا، فاتَّخذتْ صدره مخدَّةً فغفتْ للأبد، لقد رحلتْ وهي بين ذراعيه، رحلتْ وفي آذانها نغمات قلبه، دقَّات قلبه المتسارعة في مسامعها، رحلتْ فكان آخر ما سمعتْ منه (ملاكي أحبُّكِ بِكُلِّ جوارحي)، رحلتْ وقد طُبِعَتْ على جبينها قبلته الرَّقيقة، لَمْ يكن يدري يومها أَنَّ قبلته تلك، كانت قبلة الوداع الأخير. غادرت الحياة فتركتْ" زهرة" في سنِّ الخامسة عشر من عمرها، في حين أَنَّ حمزة أنذاك كان في سنِّ العشرين، الآن قد كبرا معًا، فقد مرَّت سنواتٌ عدَّةٌ، ف"حمزة" تزوَّج منذ ما يزيد عن خمس سنواتٍ، لكنَّ "زهرة" ما تزال هنا مع والدها العجوز.

عقله ما زال حبيسًا للماضي السَّحيق، لكنَّ روحه حبيسة الحاضر الآن، فحاضره" زهرة" ابنته الوحيدة، كُلُّ ما يريده الآن هو الاطمئنان على

مستقبلها، يريدها أن تكون أُمًّا وزوجةً صالحةً، يتزوَّجها رجلٌ صالحٌ، يتَّقي الله ويخافه.

"زهرة" إنَّها زهرة حياته، لا يستطيع فراقها، فمجرَّد فكرة زواجها تقلقه، رُبَّما ستنساه فتنشغل بزوجها وأولادها، فيصير هو في دهاليز النِّسيان، كما فعل "حمزة" الذي مَا لَبِثَ يزوره إلَّا قليلًا، حتى صارتْ زياراته قليلةً، مختصرةً فقط على الأعياد وأيَّام رمضان الأولى فقط، نادرًا ما يأتي للاطمئنان عليه، فقد انشغل بأسرته الصَّغيرة، لكنَّه يُلَبِّي النِّداء مستعجلًا إنْ تَعَلَّقَ الأمر بمرض والده، ف"زهرة" تهاتفه لتخبره بذلك فورًا، فقد سئمتْ من دعوة أخيها لزيارة والده، لذلك فقد اكتفت فقط بإبلاغه بأمر مرض أبيها، في حال أصابه مرضٌ ما، فَلَمْ يعد يُجدي توبيخها له نفعًا، فزياراته يومًا ما ستصبح شبه منعدمةٍ بلا شكٍّ.
يخاف أن يُتْرَكَ وحيدًا، في منزلٍ شاسعٍ فسيحٍ، لا أهل له، فوالداه توفِّيا منذ زمنٍ بعيدٍ وإخوته منشغلون بحياتهم، فَمُذْ أن فارق والداه الحياة تشتَّت شملهم رُوَيْدًا رُوَيْدًا، يجتمعون في الأعراس والجنائز فقط، فنادرًا ما يلتقون في الأعياد، فالأمر المضحك أن يتمَّ لقاؤهم صدفةً في الشَّارع...

في الحقيقة لا يُحِسُّ بفراغٍ أو وحدةٍ، فزهرة ما تزال معه، لكنَّ البقاء لا يكون أبديًّا فَلَا بُدَّ من الفراق يومًا ما. لا يدري كيف سيستطيع العيش بدونها، فلولا زهرة لما ظَلَّ صامدًا لغاية الآن، ف"زهرة" هي نَفَسُهُ الأبديُّ بعد زوجته المرحومة،" زهرة" تشبه والدتها كثيرًا، فهي شديدة الشَّبه بها، فلولا حاجبيها الملتصقين، لظننتها زوجته المتوفَّاة، لظننت أنَّ "ملك" قد بُعِثَتْ، لتعود في هيئتها الشَّابَّة.

تمتم قائلًا (وهو قابعٌ في مكانه المعتاد وسط البهو، جالسٌ على كرسيِّه الهزَّاز، وأدخنة سيجارته تُحلِّق في الفضاء): هذه سُنَّة الحياة، فالصِّغار يتركون منازلهم

فور اكتسابهم الأجنحة، آهٍ! كَم أَنَّ الحياة غريبةٌ؟! الصِّغار غَدُوا كبارًا الآن، السَّنوات مَرَّتْ بسرعة الضَّوء، فبالأمس كانوا رُضَّعا بين ذراعيَّ هاتين (يرفع ذراعيه وينظر إليها)، والآن صاروا طوال القامة، إنَّ الحياة سريعةٌ جدًّا.

"زهرة" في غرفتها تفكِّر في عدم ترك والدها وحيدًا، لا تعرف ما الذي يجول في خاطره من كلامٍ، فلا تعرف إن كان وجودها مع والدها يسبِّب له القلق والحيرة، فقريناتها قد تزوَّجن وأنجبن بناتًا وصبيةً، لقد بلغتْ سنَّ السَّادسة والعشرين ولم يطرق بابها عريسٌ بالمرَّة، تَأَفَّفَتْ وهي تنظر في المرآة.

- قائلةً: لِمَ هذا العيب؟ لِمَ؟ حاجبان كبيران ملتصقان، أُفٍّ! مقرونة الحواجب، (تلمس حاجبيها بأصابع يديها بوجهٍ عبوسٍ).

- تُتابع حديثها قائلةً: لقد أحدثتما فوضى في حياتي كلِّها، يا رب! يارب! يا رب! بسببكما لَمْ أَسْلَمْ من كلام النَّاس، حسبي الله ونعم الوكيل يا رب! ... يا رب أستغفر الله، الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله لأنَّني بخلقةٍ تامَّةٍ، فهذا الأهمُّ، أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم. (ابتعدت عن المرآة لتستلقي على سريرها).

أغمضتْ عينيها بصعوبةٍ، فضوضاء الأفكار صاخبةٌ، تُرهق دماغها، فقد تعبتْ من التَّفكير، لقد أرهقها كلام النَّاس، ترقص تلك الكلمات عبثًا على أوتار أعصابها "مقرونة الحواجب"، فتنكمش شفاهها المكتنزة غضبًا، تضع يديها الصَّغيرتين على آذانها لعلَّها تُسكت تلك الأفواه، تُمسك المخدَّة فتضعها فوق رأسها لتنهار بالبكاء، لقد نامت والدُّموع على خدودها منهمرةٌ، كشلَّالٍ ثائرٍ غاضبٍ.

لا أحد يعلم أنَّ زهرة مصدرٌ للرِّزق، فيوم ولادتها كان يومًا مُمَيَّزًا، فولادتها صادفتْ يوم تَلَقِّي والدها خبر ترقيته، فمنذ ولادتها والخير والفرح يملآن البيت كُلَّه؛ فمقولة أنَّها ذات عينٍ حاسدةٍ، والخير لا يأتي منها لشائعةٌ؛ إنَّها لَكِذبةٌ شنيعةٌ.

لَمْ يَمُرَّ يومٌ واحدٌ إلَّا وفَكَّرتْ في هويَّة عريسها المستقبليِّ، فمن سيكون يا تُرى؟ من سيفرحها؟ من سيغرقها حُبًّا؟ من سيثلج قلبها فرحًا؟ إنَّها لا تعرف متى سيأتي ذلك اليوم حقًّا...

مَرَّتْ شهورٌ عدَّةٌ، وقد اقترب عيد ميلادها السَّابع والعشرون، إنَّها تتقدَّم في السِّن سريعًا، لم تحصل على وظيفةٍ بعدُ ولم تتزوَّج بعد...

كانت أمنيتها في ذاك اليوم، أن تتزوَّج هذه السَّنة، لِتُفْرِحَ والدها وتُسْعِدَهُ، وتزوره دائمًا فتأتيه بأحفادٍ كُثُرٍ، فوالدها مُحِبٌّ للأطفال، فكم لاعب أبنائه وكم أسعدهم، وكم أفرحهم... فقلبه كبيرٌ ...

لقد استجاب الله لدعواتها، فكانت تلك آخر سنةٍ ستعيش فيها مع والدها، لقد تزوَّجتْ، لقد جعلت الأفواه مشدوهةً، والوجوه مصدومةً، والعقول غير مُصَدِّقَةٍ، فكيف لفتاةٍ مثلها، ليست بفاتنةٍ ولا بجميلةٍ أن تتزوَّج المهندس كمال، كيف لذات الحواجب الكبيرة الملتصقة أن تتزوَّج رجلًا بهذه المكانة؟ والوسامة والأخلاق، كيف له أن تَقَدَّمَ لخطبتها؟ فيعلن زواجه منها بعد ذلك، فكيف لشخصٍ أن يسقط ضحيةً لامرأةٍ مثلها؟ كيف لذلك الشَّاب المُخَضرمِ أَنْ يختارها هي من بين كُلِّ نساء العالم؟

من النَّظرة الأولى أحبَّها، لقد سرقتْ قلبه في غفلةٍ منه، رآها مرَّةً واحدةً في المكتبة، فَإِذْ به يجد نفسه يراقبها، فمال قلبه لها بلا تفسيرٍ؛ ليجد قلبه راكضًا

ورائها بأنفاسه المتقطِّعة، فدقَّاته قد تسارعتْ، فصارتْ قويَّةً مُدَوِّيَةً، لَمْ يشعر بذلك قَطُّ من قبل في حياته كُلِّها، فكانتْ تلك أوَّل مرَّةٍ يشعر فيها بالحُبِّ، فكيف للمهندس "كمال" أَنْ يقع ضحيةً في شباك زهرة؟! كيف؟ كيف؟ كيف لكمال الرَّجل الكاره للحُبِّ أَنْ ينبض قلبه حُبًّا؟! كيف له أن يعتنق الحُبَّ فجأةً دون سابق إنذارٍ؟! كيف ل"كمال" أن يقع في شباك تلك الفتاة بالذَّات؟ لقد كانتِ النِّسوة يَتَمَنَّيْنَ فقط منه نظرةً واحدةً، التفاتةً واحدةً، كلمةً واحدةً، لكن دون جدوى، فلا وجود لمن أنارتْ ظلمة قلبه، ف"زهرة" أزهرتْ في قلبه، فَاخْضَرَّتْ صحرائه المُكْفَهِرَّةُ القاحلة، ها هو يراقبها من بعيدٍ، يلمحها وهي تعيد الكتب المستعارة، اتَّجهتْ للرُّفوف لتختار كتابًا آخر، إنَّه يمشي بجانبها مُدَّعِيًا البحث في ذاك الرَّف، وقعتْ عيناها على روايةٍ بعنوان: "لنكن معًا"، هَمَّتْ بالتقاطها من الرَّف، لكنَّها وقعتْ من بين يديها أرضًا، انحنتْ لتلتقطها وإِذْ بها تتفاجأ بيدٍ أخرى تمسك الكتاب،

-رفعتْ رأسها قائلةً: عذرًا.

فَلَمْ يُجِبْ فقط اكتفى بابتسامةٍ صغيرةٍ، فتراجع للخلف مبتعدًا، وفي يده كتاب الهندسة.

لم تعر الأمر اهتمامًا، لكنَّها ضحكتْ في قرارة نفسها، فَتَمْتَمَتْ يا ليت العنوان يجمعنا، فابتسمتْ ويدها على شفاهها، ياه! إِنِّي أحلم.

لكنَّ الحلم تحقَّق فقد تابع كمال مراقبته لها، ليعرف بذلك منزلها، فسأل عنها وبعث والدته للتحقُّق، وها هو الآن قد تزوَّجها رغم تلك الشَّائعة التي تدور من حولها.

لقد أحَبَّته حقًّا ف"كمال" ذو أخلاقٍ عاليةٍ، فوالدها اختبره جيّدًا، وسأل عنه كثيرًا، فقد تحقَّق" مصطفى" من نزاهة" كمال" وحسن أخلاقه، فسيرته حسنةٌ وسلوكه حسنٌ، لذا فقد اطمئنَّ قلبه وارتاح باله، إنَّ ابنته بين أيادٍ آمنةٍ أمينةٍ، فزواجهما مباركٌ ولا خوف منه.

لقد تسلَّل الحُبُّ لقلبيهما بدون سابق إنذارٍ، فقد أحبَّته في يوم لقائهما الأوَّل بالمكتبة، لقد شغل تفكيرها، فخطر ببالها عدَّة مرَّاتٍ دون موعدٍ محدَّدٍ، فكلَّما تقلب صفحات تلك الرِّواية إلَّا وتذكَّرته فتحمرَّ بذلك خدودها خجلًا، لقد كان أحد الفصول مشابهًا لما حدث بينهما في المكتبة، لقد كان ذاك الفصل دقيقًا للغاية كأنَّه يصفهما معًا، قرأتْ ذاك الفصل عدَّة مرَّاتٍ بلا مللٍ، فَكُلَّمَا قرأته وجدتْ نفسها تبتسم خجلًا، فتشعر بحرارةٍ تنبعث من خدودها، تتحرَّك يُمْنَةً ويُسْرَةً على سريرها، وتُخَبِّئُ وجهها في المخدَّة خجلًا، شعرها الطَّويل الأسود منسدلٌ على كتفيها وظهرها، تبتسم بصرخةٍ مكتومةٍ، ووجهها منغرسٌ على المخدَّة، فترفع قدميها عاليًا تضربهما على السَّرير بطفوليَّةٍ، إنَّها فرحةٌ للغاية، ها هي ذي تعيد قراءة الفصل مرَّةً تلو الأخرى، فتكون ردَّة الفعل نفسها، إنَّها تحلم، فهل سيتحقَّق حلمها؟

في تلك الرِّواية تزوَّج البطلان ببعضهما البعض، وأنجبا طفلًا في آية الجمال، أطلقا عليه اسم جمال، أرادتْ إعادة الرِّواية إلى المكتبة، لكنَّها لَمْ تستطع، فالرِّواية قد صارتْ جزءًا منها، فكيف لها أن تتخلَّى عن جزءٍ ينتمي لها؟ لقد حسمت الأمر أخيرًا، أعادت الرِّواية للمكتبة، لكنَّها لم تستطع مفارقتها فمدَّدتْ مدَّة قرائتها مرَّةً أخرى، لقد خطرتْ ببالها فكرةٌ، لِمَ لا تشتريها؟ هذا أحسن قرارٍ، لكن كيف ستجدها مطبوعةً ورقيًّا؟ فتلك الرِّواية نادرةٌ جدًّا، فكرتْ قليلًا، فخطرتْ ببالها فكرة تحميلها من الإنترنت، فوجدتها أخيرًا، فحلَّقتْ فرحةً بذلك،

لكنَّ الأمر لَمْ يُشْبِعْ رغبتها البتَّة، فهي تريدها كتابًا لتحتضنه كُلَّما أرادت النَّوم، كُلَّما أرادتْ أَنْ تحلم بفارس أحلامها، بذاك الشَّاب الوسيم الباسم، مرَّتْ أيَّامٌ فأعادت الكتاب للمكتبة، ولم تستطع أخذ كتابٍ آخر غيره هذه المرَّة، فقد توجَّهتْ إلى حَيِّ البساتين لتستلم الرِّواية أخيرًا، فقد اشترتها مطبوعةً من موقعٍ إلكترونيٍّ، ها هي" زهرة" في حَيِّ البساتين تقتني أجمل عطرٍ، فبالرِّواية المطبوعة هي قد تعطَّرت، تراقب بشغفٍ كبيرٍ، ها هو رجل الإيصال أتى أخيرًا ليسلِّمها كنزها ، وَقَّعَتْ على استمارة الاستلام وعيناها تبرقان من شدَّة الفرح، نعم ها هي الآن تملك روايتها "لنكن معًا" ، ضَمَّت الرِّواية لصدرها لتغمرها حُبًّا وحنانًا، فقد اشتاقت لها كثيرًا، اشتاقت تقليب صفحاتها، لقد صارتْ مدمنةً لتلك الرِّواية.

" كمال" كان يأتي دومًا ليسأل إِنْ كانتِ الرِّواية مُتَوَفِّرَةً في المكتبة ليستعيرها، لكنَّه كان يخرج خالي الوفاض فَكُلَّمَا أراد استعارتها من المكتبة، تخبره أمينة المكتبة بِأَنَّ الرِّواية ما زالت محجوزةً، وقد تَمَّ تمديد المدَّة لثلاث مرَّاتٍ، لَمْ ييأس "كمال" أبدًا، فقد كان يأتي بشكلٍ شبه يوميٍّ هناك؛ ليسأل عن تلك الرِّواية، فأخبرته أمينة المكتبة أن يترك لها رقمه، كَيْ تتمكَّن من التَّواصل معه لتخبره بإمكانيَّة استعارة الكتاب من عدمه، فهذا ما حصل تمامًا، بعد أن أتت "زهرة" ومعها الكتاب لتعيده، وفي يدها الكتاب الجديد الذي اشترته، ووجهها مُشِعٌّ تنبع منه نسماتٌ خفيفةٌ لطيفةٌ لتعلن فرحتها.

- نطقتِ الأمينة: وأخيرًا ستعيدين الرِّواية.

- فأجابتها زهرة : نعم، وشكرًا لكِ لتمديدكِ لي المدَّة؛ لاستعارتها حقًّا.

- تراقب ما بين يَدَيْ زهرة قائلةً: لقد فهمتُ الآن، لقد اشتريتها أخيرًا، إذن فلا حاجة لك لاستعارتها مجدَّدًا، أليس كذلك؟

طأطأتْ زهرة رأسها إيجابًا بخجلٍ.

- استرسلتْ أمينة الخزانة الكلام : والآن يمكنني الاتِّصال به أخيرًا.

- فقاطعتها زهرة: معذرةً يا آنسة، ماذا تقصدين؟

- ابتسمتْ أمينة المكتبة فقالتْ: لَمْ يتوقَّف يومًا عن المجيء، لقد كان يسأل عن تلك الرِّواية مرارًا وتكرارًا، لم ييأس بالمرَّة، فاقترحتُ عليه أن يَمُدَّنِي برقم هاتفه، هذا كُلُّ ما في الأمر.

- ابتسمتْ زهرة قائلةً: إنَّها روايةٌ لطيفةٌ جميلةٌ، أحداثها مشوِّقةٌ، تجعل قلب المرء منجذبًا لها بشكلٍ لا يُصَدَّقُ، فطريقة سرد الأحداث والوصف رائعةٌ جدًّا، وكذلك العنوان "لنكن معًا" أعجبني كثيرًا، فالعنوان فيه معانٍ كثيرةٍ.

- ابتسمتْ أمينة المكتبة: أتمنَّى أن لا تعتزلي القراءة بعدها، فلا تتعلَّقي كثيرًا بهذه الرِّواية، فهناك كتبٌ ذات قيمةٍ فكريَّةٍ أحسن من الرِّوايات، وأنصحكِ بأنَّ الرِّوايات ما هي إلَّا محض خيالٍ.

- أجابتها زهرة: لِكُلِّ نوعٍ طلبٌ، فلا يَقِلُّ كتابٌ عن كتابٍ في الأهميَّة، فَلِكُلِّ كتابٍ هدفٌ ومغزًى، حتى الرِّوايات لها أبعادٌ مخفيَّةٌ لا يراها القارء البسيط السَّطحيُّ.

- رفعتْ حواجبها تعبيرًا عن عدم اقتناعٍ، قائلةً: رُبَّمَا يا زهرة! رُبَّمَا...

غادرتْ "زهرة" المكتبة؛ لتتَّجه مسرعةً للبيت، كَيْ تعيد قراءة روايتها من جديدٍ، فتستنشق عبق الأوراق الجديدة، فَتَتُوهَ بين السُّطور...

التقيا صدفةً في الطَّريق، لكن لَمْ يلمح أحدهما الآخر، أَحَسَّ قلبه بشيءٍ فالتفت يمينًا، فبرقتْ عيناه فأوَّل ما لمحته كان عنوان الرِّواية تلك " لنكن معًا"، لكنَّ الرِّواية كانتْ جديدةً، إنَّها حديثة الشِّراء بطبعةٍ جديدةٍ، توقَّف للحظةٍ أراد أن يسألها، لكنَّه لَمْ يستطع... فتابع سيره متَّجهًا للمكتبة وأنفاسه تكاد تنقطع.

وأخيرًا استعار تلك الرِّواية، لقد اعتراه الفضول فقد أراد معرفة الأحداث، ومعرفة سيرورتها، فكيف تُكتب الرِّوايات يا تُرى؟ هذا ما دار في خُلْدِه، وهل الرِّوايات تستحقُّ القراءة، وَلِمَ وَجَبَ عليه أن يقرأ روايةً؟ فَهَلِ السَّبب هو امراةٌ؟

فما الذي غَيَّرَهُ إذن؟ ما الذي جعله يكسر القاعدة؟ فَلَمْ يقرأ يومًا روايةً، وَلَمْ يقرأ في حياته شعرًا أَوْ خاطرةً، لَمْ يهتم يومًا بما تكتبه الأنامل المبدعة لِلْكُتَّابِ، فَلَمْ يُعِرْ للأدب اهتمامًا، فَكُلُّ هَمِّهِ وانشغالاته تتمركز حول كتب الهندسة لا غير.

يُعَبِّئُ استمارة الاستعارة وذهنه شاردٌ، لا يعرف كيف آلَ به المطاف إلى هنا؛ ليستعير روايةً، فقد هَمَّ راكضًا عند أوَّل مكالمةٍ،

فقد أخبرته أمينة المكتبة بِأَنَّ الكتاب الآن متاحٌ، وأَنَّ الفتاة قد أرجعته، لَمْ يعرف كيف وجد نفسه هنا الآن!...

- ابتسمتْ أمينة المكتبة قائلةً: أراكَ قد غَيَّرْتَ مسار اهتمامكَ،

أَصارتِ الرِّوايات تستهويكَ؟

- فأجابها بعد تفكيرٍ مُطَوَّلٍ: لا أعرف، رُبَّمَا مُجَرَّدُ فضولٍ...

ابتسمتْ أمينة المكتبة وعيناها تبرقان، فذاك الشَّاب قد وقع في حُبِّ "زهرة" مكتبتها، لقد أحبَّ "زهرة".

"كمال" يغادر المكتبة بعد توديعه لأمينة المكتبة، وتقديمه الشُّكر لها لما فعلته من أجله .

تمتمتْ قائلةً: يا رب! إن كان لهما نصيبٌ فلتجمعهما حلالًا طيّبًا يا الله. فكلاهما أعزُّ النَّاس في قلبي، يا رب! أتمنَّى أن يأتيا معًا يدًا بيدٍ، ليستعيرا الكتب وهما معًا، متزوّجين يارب، وراحتْ تُرَتِّبُ الكتب التي أمامها.

لقد حصل على الرِّواية أخيرًا، ها هو الآن في بيته الكبير يجلس على أريكته، يضع نظَّارته الخاصَّة بالقراءة، ليبدأ رحلة الغوص بين ثنايا تلك الرِّواية، لقد توقَّف عند ذلك الفصل، ليعيده مرَّاتٍ عدَّةٍ بلا مللٍ، ليعود بذاكرته للوراء فيتذكَّر تلك الفتاة، فتاةٌ أزهرت بقلبه للحظةٍ، فأزهرتْ في قلبه للأبد، إنَّ الفصل الموجود بتلك الرِّواية يصفهما معًا، يصف" كمال" و" زهرة" بتفاصيل دقيقةٍ، كَأَنَّهما هما بطلا تلك الرِّواية حقًّا، مِمَّا زاده تفكيرًا بها، لَمْ تفارق عينيها مخيّلته أبدًا، مقرونة الحواجب لكنَّه فيهما قد تاه، أَحَبَّ كُلَّ تفاصيل وجهها بدون استثناءٍ.

لم يستطع مفارقة الرِّواية هو الآخر...

جمعتهما روايةٌ فتزوَّجا، أَحَبَّا بعضهما حُبًّا طاهرًا نقيًّا، فقد قصد" كمال" منزل والدها طالبًا يدها للزَّواج، فَزُفَّ خبر الخطوبة للكلِّ، فانطلقت الألسنة بالقيل والقال: كيف لمقرونة الحواجب تلك أن تتزوَّج؟! كيف؟! كيف؟! كيف حدث ذلك؟! كيف لها أن تتزوَّج أوسم الرِّجال وأغناهم؟! هل ستتمُّ الخطبة على خيرٍ يا تُرى؟! هل سيستفيق" كمال" من غيبوبته تلك؟ هل هناك غشاوة على عينيه يا تُرى؟ لقد سحرته فعلًا، إنَّه السِّحر الأسود، لقد مارست عليه سحر جلب الحبيب، إنَّها لَساحرةٌ ماكرةٌ، إنَّ" زهرة" قد مارست السِّحر الأسود على"

كمال"، كيف لسحرها هذا أن ينجح؟! من هذا المشعوذ الذي قام بذلك؟ أيُعقل أنَّه قصدت خرابة العمِّ شحرور؟!

أسئلةٌ وشائعاتٌ انتشرت في أرجاء الحيِّ بأكمله.

لقد امتدَّت الخطوبة لستة أشهرٍ فقط، فقد كانت تلك المدَّة كافيةً لكليهما من التَّحَقُّقِ من صدق مشاعرهما، ولمعرفة بعضهما البعض جيّدًا، لقد مرَّت تلك الأشهر كالحلم؛ لِيَتِمَّ بعدها عقد القران مباشرةً، فقد كان الطَّرفان على وفاقٍ تامٍّ، بالرَّغم من وجود بعض الاختلافات.

لَمْ تَسْلَمْ زهرة ولا زوجها من كلام النَّاس، فزواجهما كان صدمةً للكلِّ، ما عدا أسرة كمال الصَّغيرة، فأسرته لا تهتمُّ بالفارق الطَّبقيِّ ولا بالمظهر الخارجيِّ، كلُّ ما يهمُّها حسن الأخلاق واتِّباع طريق الإسلام دينًا، وكُلُّ ثقتهم بين يدي ابنهما البكر الوحيد" كمال"، ف"كمال" له ذوقٌ صعبٌ للغاية، وحينما يختار فإنَّه يختار الأفضل دومًا.

أسرة" كمال" مسالمةٌ متفهِّمةٌ، فاحشة الثَّراء، ذات نسبٍ عالٍ فلا أحد يستطيع منافستها في شيءٍ.

لم تنفكَّ" زهرة" عن زيارة والدها، فهي تزوره بشكلٍ شبه يوميٍّ رفقة زوجها "كمال"، نادرًا ما تزوره بدون" كمال"، نادرًا جدًّا...

إنَّ والدها فرحٌ للغاية، فَلَمْ تنسه ابنته" زهرة" أبدًا، لَمْ وَلَنْ تتخلَّى عنه، دائمًا ما تسأل عنه بلا مللٍ، سواءٌ كانت زيارةً أَم اتِّصالًا هاتفيًّا، حتى أَنَّها في بعض الأحيان تطلب من زوجها" كمال" أَنْ يَمُرَّ عليه بين الفينة والأخرى، وفي أغلب الأحيان ينتهي به الأمر مصطحبًا لوالدها في منزله، فَتُسَرُّ زهرة بذلك كثيرًا.

ها قد مرَّت سنتان على زواجهما...

لقد أتت" زهرة" لزيارة أبيها كالعادة، حاملةً ابنها الصَّغير "أحمد"، البالغ من العمر سنة واحدةً الآن، والدها سعيدٌ للغاية فلم تهجره ابنته قطُّ مذ أن تزوَّجتْ، لطالما تردَّدتْ على زيارته كثيرًا، وما زالتْ كذلك، حتَّى زوجها الوسيم" كمال" يزوره ويسهر معه ليتسامرا معًا، فيتبادلان أطراف الحديث في مواضيع شتَّى.

لطالما كانتْ وستظلُّ" زهرةُ" زهرةَ الكُلِّ، فقلبها كبيرٌ فوجودها بحدِّ ذاته رزقٌ، فالإنسان كذلك رزقٌ، ولا بُدَّ من الحفاظ عليه. ما زالت النِّسوة يُثَرْثِرْنَ بالقيل والقال، يقولون أَنَّ الجحيم تمتلأ بالنَّمَّامين، وآكلي لحم البشر غيبةً، فالنِّسوة من غَيْرَتِهِنَّ لا يَكْفُفْنَ عن النَّميمة أبدًا، لسانهنَّ طويلٌ لا حدود له.

لم تسلم" زهرة" من ألسنتهم اللَّاذعة اللَّادغة، فقد صارت حديث الحَيِّ بأكمله، لتنتقل تلك الأقاويل إلى الأحياء المجاورة كذلك، إنَّها تُحِسُّ بالأعين تتربَّص بها، فَكُلَّمَا هَمَّتْ بالخروج من المنزل إلَّا وأَحَسَّتْ بضيقٍ، كأنَّها مُحاصرةٌ، منذ أَنْ تزوَّجتْ ب"كمالٍ" والنِّسوة لم يتركنها بسلامٍ، فمازالت النِّسوة ينسجن عنها الحكايات والقصص، خرافاتٍ وأكاذيب، إنَّ" زهرة" لعلكةٌ في أفواههنَّ بين القيل والقال.

كُلَّما جلسا معًا، يذكرون تلك الرِّواية التي جمعتهم معًا، فلولاها لما كانا الآن متزوِّجين حقًّا، فلتلك الرِّواية فضلٌ كبيرٌ، رُبَّما شغفهما لقراءة الكتب ما دفعهما للالتقاء معًا، لكنْ للصُّدفة دورٌ كذلك، فقد جمعتهم معًا في مكانٍ ينبض بالثَّقافة، ربَّما كان القدر.

يجلسان في الصَّالة كعادتهما، يحتسيان الشَّاي معًا، ويتناولان الحلويَّات والمقرمشات،" زهرة" تحمل ابنها بين أحضانها، وفي يدها الأخرى تتصفَّح

روايةً كعادتها، عنوان تلك الرِّواية كان " أُسرةٌ سعيدةٌ"، كُلَّما تصفَّحتها ابتسمتْ وقبَّلتْ جبين ابنها، وفي داخلها تشكر الله وتحمده حمدًا كثيرًا، فلا ينقصها شيءٌ والحمد لله، فلا شيء أهمُّ من أسرتها الصَّغيرة هذه، بالإضافة إلى والدها طبعًا، فلولاه لما نشأتْ هذه الأسرة اللَّطيفة الصَّغيرة، ترفع وجهها وتبتسم بخجلٍ وعيناها تراقب زوجها" كمال"، يراها" كمال" فيقترب منها؛ لِيُقَبِّل حاجبيها، فتزداد هي خجلًا، فتحمرُّ وجنتاها، يَمُدُّ ذراعه الطَّويلة لِيُقَرِبَ زوجته إليه، إنَّهُ يحضنهما معًا، يحتضن أسرته الصَّغيرة.

- "كمال"(هامسًا في أذن زهرة) : حبيبتي الغالية، يا أُمَّ ابني! هَلْ أنتِ سعيدةٌ معي؟

- زهرة (ترفع كتفها فهمسه قد دغدغ أذنها) : ما الذي تقوله يا أَيُّها المشاغب؟ كفاك عبثًا! يا نبض قلبي!

- ابتسم كمال (مبعدًا وجهه عنها) قائلًا : أهمس في أذنك مرَّةً أخرى؟ أخبريني.

فقاطعته زهرة: لا، لا رجاءً.

- كمال (وعلى مُحيَّاه ترتسم السَّعادة) : أتعلمين؟ أنتِ زهرة قلبي، زهرةٌ أزهرتْ في روحي، وفي كُلِّ لحظةٍ أستنشق عطركِ الفوَّاح.

- زهرة تبتسم خجلًا : كفاك عبثًا.

- كمال (يُعَدِّل جلسته) :

باب قلبي كان موصدًا

فتخلَّله العطر الفوَّاحُ

انساب العطر رويدًا رويدًا

ففتحتُ باب قلبي طوعًا

رأيتكِ أمامي تقفين

فابتسمتُ فاجتاحني الفرحُ

دقَّات قلبي تسارعتْ

فوجدتُ نفسي تميل لكِ فورًا

عيناي لَمْ تلتفتْ لغيركِ قطُّ

فبكِ تعلَّقتِ الرُّوحُ

فلقائي بكِ كان مُستبعدًا

فلولاكِ لما التقتِ الأرواحُ

قلبي صار لكِ عبدًا

فبحبّكِ صار مولعًا

كُلَّما غازلتكِ تخجلين

وبداخل عيونكِ يَتلألأ الفرحُ

لَمْ ينبض قلبي لغيركِ قطُّ

فأنتِ يا زهرة النَّفَسُ والرُّوح

- استرسلتْ" زهرة" كلامه:

لا وجود لحبيبٍ قبلكَ ولا بعدكَ

فبدونكَ أنفاسي تنقطع

أنتَ في المركز الأوَّل يا "كمال"

في قلبي أنتَ قابعٌ

حينما أراكَ قلبي يقفز من الفرحِ

وأنفاسي تتسارع

قلبي لكَ يا كمال

فدقَّات قلبي بوجودكَ تتسارع

أُحِبُّكَ يا نبض قلبي

فقلبي في حُبِّكَ واقعٌ

- ابتسم "كمال" قائلًا: يا زهرة قلبي إنِّي بِكِ لَمُتَيَّمٌ.

يتبادلان دومًا كلامًا شاعريًّا، رقيقًا دافئًا، يتبادلان الكلام في مواضيع شتَّى، يعيشان قصصًا وحكاياتٍ، يتبادلان الآراء ويناقشان وجهات النَّظر المختلفة، ليس هذا فحسب، بَلْ يتشاركان كُلَّ شيءٍ، يتقاسمان أعباء المنزل سويَّةً، إنَّهما زوجان متكاملان حقًّا.

زهرة تبتسم خجلًا كعادتها، فيستمرُّ كمال في تدليلها وغزلها، كَيْ تزداد خجلًا.

- كمال (يضع يده اليمنى على قلبه) قائلًا: يخالجني شعورٌ خفيفٌ، يعبر قلبي كنسمة هواءٍ عذبٍ، أتُراه حُبًّا جديدًا؟ آهٍ من حُبِّكِ يا زهرة! فَحُبُّكِ في قلبي دائمًا يتجدَّد.

- زهرة (تلمحه بعيونٍ متلألئةٍ، وتبتسم ابتسامةً صغيرةً): مشاغبٌ كعادتكَ يا كمال!

- كمال (يغمزُ لزهرة): احم، احم، اسمعي! اسمعي! (يضحك).

- زهرة: ماذا؟ (تضحك هي أيضًا).

- كمال: اسكتي! لا تضحكي! سيذهب الإلهام. (يبتسم ثُمَّ يضحك).

- زهرة: أمركَ غريبٌ حقًّا، ما الذي يُضحككَ؟ أخبرني. (تبتسم).

- كمال: انتظري رجاءً، سأتوقَّف عن الضَّحك، فقط لا تضحكي أنتِ كَيْ لا أضحك. (حطَّ كفَّ يده على فمه ليخفي ابتسامته).

- زهرة: أوك يا أستاذ كمال!

- كمال (يُعَدِلُ جلسته، وملامح الجدِّيَّة ترتسم على مُحَيَّاه) قائلًا:

اسمعي، احم، احم.

يا قلب يا لحن الحُبِّ (يرفع يديه عاليًا)

طبولكَ تعزف ألحانًا (يُقَلِّدُ عازف الكمان بحركاته)

كُلَّمَا رأيتكِ يا زهرة (يُشير بإصبعه لزهرة، ويحرِّك حاجبيه ثُمَّ يغمز لها)

أجد قلبي نابضًا بحبِّكِ يَدُقُّ (يُشير بأصبعه لقلبه)

يا نبض قلبي (مازال يُشير لقلبه)

قلبي بكِ ارتوى حُبًّا وحنانًا

يا زهرة! يا زهرة!

قلبي لكِ يغنِّي تِكْ تِكْ تِكْ توكْ دَقْ دَقْ دَقْ

إنَّهُ يَدُق دَقْ دَقْ

انفجرتْ زهرة ضحكًا من كلام كمال، وحركاته تلك.

- كمال (يقهقه) : لقد أخبرتكِ، أخبرتكِ أن لا تضحكي، لا تضحكي يا مشاغبة!

كلاهما يضحكان معًا، لقد أفاق طفلهما من شدَّة الضَّوضاء، لينفجر باكيًا.

- زهرة (وهي تمسح دموع الضَّحك): لقد أيقظنا" أحمد". (تبتسم).

- كمال: يا إلهي! (مبتسمًا)، سآخذ" أحمد" من بين يديكِ، سَأُهَدِّئُهُ لا تقلقي. (ينظر إليها بمحبَّةٍ).

أخذ كمال أحمد، يُهَزِّزُه كَيْ يسكت ويعود للنَّوم من جديدٍ.

بعد نصف ساعةٍ بالضَّبط نام "أحمد"، وضع" كمال" ابنه في سريره بلطفٍ، وقَبَّلَ جبينه بحنانٍ أبويٍ، تراقبه زهرة من بعيدٍ مبتسمةً، وفي قرارة نفسها تحمد الله وتشكره على هذه النِّعمة.

- زهرة: يا أَحَنْ أَبٍ وزوجٍ في هذه الدُّنيا، كم تبدو لطيفًا.

- كمال: تعالي إلى هنا! تعالي!

- زهرة : تركض هاربةً منه، لا، لا.

- كمال: لَنْ تُفلتي مِنّي أبدًا، سأمسكُ بكِ.

- زهرة: لا، لا.

- كمال: سأدغدغكِ، (يُحَرِّكُ أصابع يديه الكبيرتين في الهواء، راكضًا نحو زهرة مبتسمًا).

زهرة تركض في أرجاء البيت، لكن دون جدوى فكمال أمسك بها، فانهال عليها بالدَّغدغات والقُبل والاحتضان.

توقَّف أخيرًا، فجلسا معًا جنبًا إلى جنبٍ، أسندتْ رأسها على كتفه، وأغمضت عيونها، يلامس كمال خصلات شعرها الأسود، فبأنامله يتخلَّل فروة شعرها، يُغْرِقُ أنفه في بحر شعرها؛ ليستنشق عطره الفوَّاح، يُقبِّل رأسها بحنانٍ ويحتضنها، لقد غفتْ زهرة بين ذراعيه.

لقد كان يومًا جميلًا، كالعادة تَعُمُّ السَّعادة أرجاء البيت، فأفراد أسرته فرحون، يعيشون على وفاقٍ تَامٍ بالرَّغم من وجود بعض الاختلافات، فالاختلاف لا يفقد للودِّ قضيَّةً.

بعد أَنْ أنهتْ قراءة روايتها "أسرةٌ سعيدةٌ" ، ها هي ذي تبدأ الغوص من جديدٍ في روايةٍ أخرى، تحت عنوان: " طفلي بخيرٍ".

إنَّ حرارته اليوم لَمرتفعةٌ للغاية، كالفرن المشتعل، يبكي بلا توقُّفٍ تحاول إرضاعه لكنَّه لا يقبل، تحاول اسكاته بالسَّكاتة لكنَّه يلقيها خارج فمه، لَمْ يسكتْ فقد واصل البكاء، أنفاسه تكاد تنقطع من شدَّة البكاء والصُّراخ، إنَّ" زهرة" قلقةٌ للغاية و"كمال" كذلك.

- زهرة: أحمد، أحمد حبيبي، يا حبيبي! يا ابني! ما بكَ يا ثمرة حُبِّي!

- كمال: ما به؟ دعيني أرى، (وضع كفَّ يده الكبيرة على جبين ابنه الصَّغير) يا إلهي! إنَّهُ يشتعل من شدَّة الحرارة.

- زهرة: لا أعرف، لا أعرف، ما به؟

- كمال: يبدو أَنَّ أحمد مريضٌ.

- زهرة: يرفض الرَّضاعة مِنِّي.

- كمال: لنأخذه إلى المستشفى حالًا.

ركبا السَّيَّارة مسرعين، لَمْ يُلقيا بالًا لأمر ملابسهما، أحمد ما زال يبكي بلا انقطاعٍ، زهرة تحاول اسكاته لكن دون جدوى.

وصلا أخيرًا للمستشفى، قصدا سكرتيرة الاستقبال، فقام كمال بالإجراءات اللَّازمة، في حين زهرة تحمل طفلها، تُحاول اسكات طفلها الباكي، إنَّ صوته قد أزعج الكُلَّ، المُمرِّضات والسكرتيرات، الأطبَّاء الجدد وكذلك المرضى الجالسين في مقاعد الانتظار، زهرة لَمْ تهتمَّ لأمرهم البتَّة، فَكُلُّ ما يُهِمُّهَا الآن هو سلامة ابنها الوحيد، إنَّهَا ما زالتْ تنتظر في المقاعد الأماميَّة حتَّى يأتي دورها.

لقد أتى طبيب الأطفال الآن، فأرشدهما إلى قاعة الفحص.

قائلًا لهما: تفضَّلا بالجلوس، وأخبراني ما بال طفلكما؟

- زهرة تتحدَّث بسرعةٍ: لا نعرف يا دكتور، في صباح هذا اليوم ابني أحمد، (تهزِّزه بين ذراعيها محاولةً اسكاته) رفض الرِّضاعة منِّي وحرارته مرتفعةٌ جدًّا، (الرَّضيع ما زال يبكي، اقترب الطَّبيب من زهرة، فأخذه من بين ذراعيها، تبعته زهرة بلا تردُّدٍ، وضع الطَّبيب أحمد الصَّغير على السَّرير ليفحصه).

- زهرة تسترسل حديثها قائلةً: يا دكتور! حرارة ابني كانت كاللَّهيب المشتعل، يرفض الرِّضاعة، ولا يسكت أبدًا، رفض السَّكاتة، رفض تهدئتي له، وضعت على جبينه منديلًا مبلَّلًا لكنَّ حرارته لَمْ تنخفض، أنا قلقةٌ، قلقةٌ يا دكتور!

- كمال: نحن قلقون يا دكتور! إنَّهُ ابننا البكر الوحيد، أوَّل مولودٍ لنا.

- الدُّكتور (يفحص أحمد، يقيس حرارته) ويقول: إنَّ الرَّضيع محمومٌ.

زهرة تلتصق بزوجها، وكمال يحتضنها ويُطَبطب على كتفها.

- كمال (يحاول إخفاء قلقه): لا تقلقي يا زوجتي! فالطَّبيب يفحصه وسنعرف ما عِلَّته، وإن شاء الله خيرًا.

- زهرة: يا رب!

الطَّبيب بعد فحصه لأحمد، وأخذ مقاس وزنه وطوله، وفحص نبض قلبه، وفحص فمه... وما إلى غير ذلك.

- ابتسم الطَّبيب ليُطمئنهما قائلًا: لا يشكو من شيءٍ البتَّة، فلا تقلقا، فتلك أعراض نموِّ بعض الأسنان فقط.

- ابتسم الوالدان معًا، فقالا فورًا: الحمد لله يا رب! الحمد لله.

- الطَّبيب يسترسل كلامه قائلًا: سأحقنه لتخفَّ الحمَّى، وسأصف له بعض الأدوية ليتجاوز المحنة.

حقنه الطَّبيب، فور أخذ أحمد للحقنة هدأ قليلًا، فأعطاه الطَّبيب جرعةً من الدَّواء.

أحمد يغفو من شدَّة التَّعب، تُطَبْطِبُ زهرة على كتف ابنها الصَّغير وعلامات الرِّضا تكسو محيَّاها.

غادرا قاعة الفحص شاكرين الطَّبيب، بعد أَنْ قَدَّم لهما نصائح تخصُّ الرُّضَع، فزوَّدهم بكُتَيِّبٍ صغيرٍ للإرشادات الخاصَّة بالأطفال الرُّضع.

ذهب" كمال" لإتمام إجراءات المشفى المتبقِّية، فَهَمَّا بمغادرة المشفى قاصدين أقرب صيدليَّةٍ، لشراء الأدوية اللَّازمة الموصوفة من قِبَلِ الطَّبيب.

بعد يومين تحسَّنتْ صحَّة أحمد"، فحرارته قد انخفضت "وها هي بعض الأسنان تعلن عن بداية ظهورها، إنَّ أحمد يكبر رويدًا رويدًا، فابتسمتْ زهرة.

فنادتْ بصوتها العذب: كمال! يا كمال!

أتى كمال مُلبِّيًا النِّداء.

زهرة: ابننا، ابننا يا كمال! تظهر بعضٌ من أسنانه أنظر. (فتفتح فم أحمد الصَّغير).

ابتسم كمال فحمل ابنه، ورفعه عاليًا ويضحك.

زهرة متضايقةٌ هذا اليوم، فاليوم يومٌ كئيبٌ، إنَّها متضايقةٌ أكثر من أَيِّ وقتٍ مضى، ليس كلام الغير ما يضايقها، إنَّ أمرًا آخر يضايقها، لكن ما هو؟ إنَّهَا تُحِسُّ بانقباضٍ في صدرها، مُذْ أن حلَّ الصَّباح، لا تعرف ماهيته، كُلُّ ما تريده الآن هو الذَّهاب لرؤية والدها، تريد رؤيته الآن، إنَّ الخوف قد اعتراها، إنَّهُ لخوفٌ شديدٌ لا تعرف ماهيته، فزعةٌ للغاية منذ استيقاظها من ذاك الكابوس المرعب، لَمْ تمنحها طمأنة كمالٍ لها أبدًا راحة البال، أخبرتْ زوجها بأنَّها ستزور والدها في هذا المساء، مُصطحبةً ابنها الصَّغير أحمد، فوافق بلا تردُّدٍ كعادته، فَلَعَلَّ زيارتها لوالدها ستُخَفِّفُ اضطرابها الغير المُبَرَّرِ...

تحمل طفلها بين ذراعيها، وعيناها مفزوعتان، انقبض قلبها فجأةً، فَأَحَسَّتْ بِأَلَمٍ في الصَّدر لم يفارقها، أحمد غلبه النُّعاس فنام بين ذراعيها، إنَّه متشبثٌ بالسِّلسلة الذَّهبيَّة التي ترتديها، كُلُّ ما يشغل تفكيرها الآن هو رؤية والدها، تحتاج لرؤيته حالًا، فقد نفذ صبرها...

"مصطفى" والد زهرة أَلَمَّ به قلقٌ غير عاديٍّ، فقد رأى حلمًا سيِّئًا، إنَّه كابوسٌ مفزعٌ، قلبه لا ينفكُّ عن الدَّقِّ، إنَّ دقَّات قلبه صارت مؤلمةً، فقلبه يرتعد خوفًا، الآن يحمل هاتفه النَّقَّال ليهاتف ابنته ليرتاح قلبه.

- ألو! يا زهرتي!

- زهرة: ألو يا أبتاه! كيف حالك؟

- الأب : الحمد لله.

- زهرة: الحمد لله.

- الأب: هل أنتِ بخيرٍ؟

- زهرة وصوتها يرتجف : الحمد لله.

- الأب: ما الشَّيء الذي يزعجكِ يا بُنَيَّتِي؟ هَلْ هناك شيءٌ ما؟ أخبريني.

- زهرة: لقد اشتقت لكَ.

- الأب: وأنا كذلك، سأزوركِ بعد صلاة العصر بإذن الله تعالى.

- زهرة: أنا أريد أن أراكَ في البيت، اشتقت أن أكون هناك يا أبتاه! سأجلب معي أحمد،" كمال" مشغولٌ بالعمل، فقد أخذتُ إذنه بالخروج لزيارتكَ، حينما ينهي عمله سيوافينا عندكَ، سنبيت عندكَ اللَّيلة يا أبي!

- الأب: مُرَحَّبٌ بكم جميعًا، في انتظارك يا بُنَيَّتِي!

- زهرة: حاضر يا أبي! فلتعلم بأنّي أُحِبُّكَ دائمًا، وأنا فخورةٌ لكوني ابنتكَ، وإنّي أُشْهِدُ رَبّي على كلامي هذا.

- الأب: الله يرضى عليك يا ابنتي! يا زهرة قلبي!

- زهرة: أُحِبُّكَ يا أبي وداعًا.

- الأب: وداعًا، يا زهرة قلبي!

أغلق الخطَّ، ليذهب متجِّهًا للمتجر الكبير قصد شراء بعض الفواكه والخضر، ليحضِّر عشاءً خفيفًا لذيذًا، سريع التَّحضير.

"زهرة" تُجَهِّزُ حقيبة الظَّهر الخاصَّة بطفلها" أحمد"، أَلْبَسَتْهُ كسوةً جديدةً، تلك الكسوة التي أهداها له جدُّه مصطفى...لقد صارتْ جاهزةً للمغادرة، بعد أَنْ قامتْ بتفقُّد الكهرباء، صنابير الماء وقارورات الغاز.

في تلك الأثناء كان الجَدُّ مصطفى، قد أنهى تحضير العشاء والشَّاي والقهوة، كما أَنَّه قد جهَّز هديَّةً صغيرةً لحفيده أحمد، و بطبيعة الحال سيُقَدِّم لابنته روايةً جديدةً تحت عنوان: زهرة قلبي. يبتسم بفخرٍ، فأحبَّته قادمون بعد قليلٍ.

بينما" كمال" في تلك اللَّحظات منهمكٌ في تصاميمه الهندسيَّة، فيجب عليه تسليم المشروع اليوم في الموعد المحدَّد، تَبَقَّتْ فقط بضع دقائق لينتهي...ليلحق بزوجته وطفله عند الجَدِّ العجوز مصطفى.

تمشي" زهرة" في الطَّريق وقلبها منقبضٌ، تُحِسُّ بوخزةٍ في قلبها، لا تعرف ما السَّبب، تُحِسُّ أَنَّ الكُلَّ يمشي بسرعةٍ غريبةٍ، تَظُنُّ أَنَّ الآخرين يراقبونها، تحتضن طفلها كي تحظى بالأمان، فاحتضان الأطفال يبعث في قلوب الكبار الرَّاحة والاطمئنان، الآن تَدَفَّق الشُّعور بالرَّاحة، فالطُّمأنينة تدبُّ في قفصها الصَّدري رويدًا رويدًا، فتنتظم بذلك دقَّات قلبها المتضاربة، لقد ابتسمتْ أخيرًا، فقبَّلتْ جبين طفلها "أحمد"، فهي ممتنَّةٌ لوجوده بجانبها، فهو نور قلبها، و منبع حنانها الغير المنقطع، فحنانها شلَّالٌ نابضٌ بالحُبِّ.

لقد انطلقتِ الإشارة الحمراء لتعلن وقوف السَّيَّارات، زهرة تستعدُّ لقطع الطَّريق، فتعبر مَمَرَّ الرَّاجلين بِكُلِّ ثقةٍ واطمئنانٍ، تحتضن طفلها بحنانٍ وفخرٍ، لكن فجأةً، تأتي سيَّارةٌ مسرعةٌ لتخترق الضَّوء الأحمر، للأسف لَمْ تستطع زهرة تفاديها، احتضنتْ طفلها بقوَّةٍ، سائق السَّيَّارة شابٌّ مجنونٌ في العشرينيَّات من عمره؛ إِنَّه شابٌّ طائشٌ، لا يهمُّه شيءٌ، لَمْ يهتم لزهرة رغم رؤيته لها، فصدمها

بقوَّةٍ بسيَّارته بلا اكتراثٍ، لتسقط أرضًا ورأسها على الرَّصيف، لتتناثر بذلك الدِّماء بعبثيَّةٍ كبركانٍ، فينطلق صوت البكاء المدوّي من بين ذراعيها، فأحمد يبكي بلا توقُّفٍ...

لقد أحاطتْ بابنها جيّدًا كي لا يصاب بالأذى، لقد حمَتْ ابنها بكُلِّ ما أُوتِيَتْ من قوَّةٍ، فغريزة الأمومة قويَّةٌ وغريزيَّةٌ، لَمْ تتخلَّ عن ابنها قطُّ، فقد حافظت على حياته، لكنَّها تركته يتيمًا.

تسلَّل الخبر بسرعة لوالدها، فَلَمْ يصدِّق ما سمعته أذناه، فأجهش بالبكاء كالطِّفل الصَّغير، فزهرته قد ذَبُلَتْ؛ لقد تركته وحيدًا...

"كمال" لم يستوعب الأمر، لَمْ يُصَدِّق، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يتقبَّل الأمر بتاتًا، لا يريد التَّصديق بالفعل، فعقله أَبَى الاعتراف بوفاة قلبه، فزهرة قد فارقت الحياة للأبد.

قاصدين المشفى مهرولين، وتجاعيد الرُّعب والهلع قد اكتسحت وجوههم، أنفاسهم متقطِّعةٌ وقلوبهم تتمزَّق، فلا وجود لخبرٍ يقين بعد.

يحمل الجدُّ حفيده بين يديه والدُّموع تنهمر على لحيته البيضاء،" كمال" على ركبتيه يضرب الأرض بكفَّيه، والدُّموع تتساقط أرضًا.

- الجدُّ يردِّدُ قائلًا: حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل.

كمال يبكي حرقةً على فقيدته، قلبه يحترق ألمًا.

- الجدُّ يُطَبْطِبُ على كتف كمال قائلًا: حسبي الله ونعم الوكيل، يا بُنَيَّ! لقد كافحت "زهرة" من أجل ثمرة حُبِّكما، لقد كافحت من أجل ابنكما أحمد.

- فتمتم كمال قائلًا : لن نكون معًا بعد الآن...

- الجدُّ: فليرحمكِ الله يا زهرة قلبي! لقد أظلم قلبي مرَّةً أخرى، فكيف له أن يعيش بدونك؟

بكى" أحمد" فجأةً.

فطبطب الجدُّ عليه لإسكاته، قائلًا: أنتَ زهرتي الصَّغيرة الآن، ف"زهرة" تريد حمايتكَ يا صغيري! أنتَ الزَّهرة الفتيَّة، فقبِّل جبينه.

- انحنى الجدُّ مقتربًا من كمالٍ، قائلًا: تمالك نفسكَ يا بُنيَّ! فزهرة تركت لك" أحمد" أمانةً، لقد تركتْ" أحمد" أمانةً على رقابنا، فلتتمالك نفسكَ يا عزيزي.

- كمال: لَنْ نكون معًا يا زهرة! لَنْ نكون معًا...

يا حبيبتي لا وجود لغيرك بقلبي

فقلبي ينبض بكِ يا حبيبتي

الحياة بدونكِ تُعَذِّبُنِي

فلماذا ابتعدتِ عنِّي؟!

فَمَنْ سيسأل عنِّي،

ومَنْ سيهتمُّ لأمري

بُعْدُكِ يقتلني

رحيلكِ عنِّي

أهلكني

كيف لكِ أَنْ تتركيني

وحيدًا هائمًا تائهًا بِلا قلبِي؟!

قتلتني

لَقَدْ هجرتني

هجرتني غصبًا، هجرتني

رحلتِ عنّي

ذهبتِ لمكانٍ بعيدٍ دون إذنٍ مِنّي

آهٍ يا قلبي

آهٍ يا زهرتي

وحيدًا بِلَا أملٍ تركتني

سرقتِ أنفاسي

لَمْ تُقبّليني

تركتني بلا قبلة الوداع يا زهرتي

فكيف لي الاستمرار بدونكِ يا زوجتي،

يا زهرتي يا زهرتي

ذبُل قلبي

انهارتْ أحلامي

ابننا وحيدٌ يبكي؛

لقد تَيَتَّمَ ابني

يا قاتل زوجتي فَلْتقتلكَ دعواتي،

فأنا أدعو إلـهي

أدعو الله أَنْ يأخذ بثأري

فليحرقكَ الله حيًّا يا قاتل زوجتي

يا سارق سعادتي

يا رب يا رب ارحم زوجتي

زوجتي الغالية زهرة قلبي

أنا أبكي أبكي

أنا رجلٌ لكنَّني أبكي

فالفراق قد قتلني

يا ربَّاه ارأف بحالي.

~~~~

نـبـذة عن الـكـاتـبـة :

صالحي إسلام مواليد 1990م بالمغرب

IFCSO. خرِّيجة معهد تأهيل الأطر في الميدان الصِّحي

حاصلةٌ على إجازةٍ في العلوم اللُّغويّة الفرنسيَّة، جامعة محمد الأول كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة بمدينة وجدة.

الاهتمامات: كتابة الشِّعر القصص القصيرة والخواطر، الرَّسم والمطالعة.

~~~~

مؤلَّفات الكاتبة:

- ديوان شعر بعنوان: حديث نفسٍ (الجزء الأوَّل)، بدار بقلمك للنَّشر الإلكتروني.

- مجموعة قصصيَّة بعنوان: لَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ أَبَدًا، بدار بسمة للنَّشر الإلكتروني.

- المشاركة في كتاب مجمَّع إلكتروني بعنوان: فريزيا، لمجموعة مؤلِّفين، تحت إشراف الآنسة: ملك "نيِّرة القلوب"، بدار فريزيا للنَّشر الإلكتروني.

~~~~

الفهرس:

إهداء ص3

كلمة شكر.....ص4

مقدِّمة ص5

نبذة عن الكاتبة ص42

مؤلَّفات الكاتبة ص43